

# المؤلف المصري

دراسات ومحتوى في التاريخ والمضارة



جداول

## الأبحاث والدراسات :

\* التجارة المصرية مع نجد خلال الربع الأخير من القرن ١٨ في ضوء الوثائق المحلية

د . عبد العليم على أبو هيكل

\* المرأة الأندلسية في عصر أموي الأندلس

د . محمد بركات البيلى

\* موقف بريطانيا من فتح فتصيلة أمريكية في الكويت (١٩٤٦-١٩٥١)

د . عبد الله سراج منسى

\* الأبعاد التاريخية لرحلة هاملتون في الجزيرة العربية عام ١٩١٧

د . عبد الوهاب بن صالح بابعير

\* سلطنة أوفات الإسلامية في العصور الوسطى

(٦٠٠ - ٩٠٠ هـ / ١٢٠٠ - ١٥٠٠ م)

د . غيثان بن على بن جريس

\* الخلافات المذهبية في أفريقية الأغلبية

د . محمد بركات البيلى

\* المميزات العامة لشخصية الأمير عبد الله بن بلقين أمير مملكة غرناطة من خلال كتابه (التبيان)

د . نورة عبد العزيز التويجى

## عرض الكتب :

\* البوسنة والهرسك من الفتح الى الكارثة

تأليف الدكتور / محمد حرب

عرض وتقديم أ. د. سيد أحمد على الناصرى

NASSER AND AMERICAN FOREIGN POLICY (1952-1956)

تأليف : محمد عبد الوهاب سيد أحمد

عرض وتقديم أ. د. سيد أحمد على الناصرى

يصدرها قسم التاريخ

كلية الآداب - جامعة القاهرة

العدد السادس عشر يوليو ١٩٩٦





جامعة القاهرة

كلية الآداب

العدد السادس عشر

يناير ١٩٩٦

# المؤرخ المصري

دراسات وبحوث تاريخية محكمة

يصدرها

قسم التاريخ

## ١ - الأبحاث والدراسات :

- التجارة المصرية مع نجد خلال الربع الأخير من القرن ١٨ في ضوء الوثائق المحلية.  
د. عبد العليم على أبو هيكل
- المرأة الأندلسية في عصر أموي الأندلس .  
د. محمد بركات البيلى
- موقف بريطانيا من فتح قنصلية أمريكية في الكويت (١٩٤٦ - ١٩٥١) .  
د. عبدا لله سراج منسى
- الأبعاد التاريخية لرحلة هاملتون في الجزيرة العربية عام ١٩١٧ .  
د. عبدالوهاب بن صالح يابغر
- سلطنة أوفات الإسلامية في العصور الوسطى (٦٠٠-٨٩٠هـ / ١٢٠٠-١٥٠٠م)  
د. غيثان بن على بن حريس
- الخلافات المذهبية في أفريقية الأغلبية .  
د. محمد بركات البيلى
- المميزات العامة لشخصية الأمير عبدا لله بن بلقين أمير مملكة غرناطة من خلال كتابه ( التبيان ) .  
د. نورة عبدالعزيز التويجى

## ٢ - عرض الكتب :

- البوسنة والهرسك من الفتح إلى الكارثة .  
تأليف الدكتور / محمد حرب  
عرض وتقديم أ. د. سيد أحمد على الناصرى
- **Nasser and American Foreign Policy ( 1952 - 1956 )**  
تأليف : محمد عبدالوهاب سيد أحمد  
عرض وتقديم : أ. د. سيد أحمد على الناصرى





# الموقف الناصري

العدد السادس عشر

يناير ١٩٩٦

رئيس التحرير

أ. د. سيد أحمد الناصري

هيئة التحرير

- |                              |                               |
|------------------------------|-------------------------------|
| أ. د. عبد اللطيف أحمد علي    | أ. د. حسنين محمد ربيع         |
| أ. د. سعيد عبد الفتاح عاشور  | أ. د. رؤوف عباس حامد          |
| أ. د. حسن أحمد محمود         | أ. د. حامد زيان غانم          |
| أ. د. محمد جمال الدين المسدي | أ. د. عطية أحمد القوصي        |
| أ. د. محمد أمين صالح         | أ. د. ليلي عبد الجواد إسماعيل |
| أ. د. عصام عبد الرؤوف الفقي  |                               |

المراسلات :

ترسل البحوث والمقالات باسم السيد الأستاذ الدكتور/ سيد أحمد الناصري

رئيس التحرير على العنوان التالي :

كلية الآداب - جامعة القاهرة ( قسم التاريخ )

بريد الأورمان - محافظة الجيزة



# سلطنة أوفات الإسلامية فى العصور الوسطى

( ٦٠٠ - ٩٠٠ هـ / ١٢٠٠ - ١٥٠٠ م )

الدكتور / غيثان بن على بن جريس

أستاذ التاريخ الإسلامى المشارك

ورئيس قسم التاريخ - كلية التربية

جامعة الملك سعود - فرع أبها

أدت الهجرات العربية الإسلامية إلى شرق أفريقيا دوراً مهماً فى تشكيل تاريخ تلك المنطقة اقتصادياً وسياسياً ودينياً ، وغير ذلك من الجوانب الأخرى المرتبطة بالعامل التاريخى . ذلك أن الإمارات والمراكز التى أنشأها العرب المسلمون فى تلك المنطقة ساهمت إسهاماً إيجابياً فى نقل الحضارة والفكر الإسلامى إلى الساحل الأفريقى ، وعلى الأخص أثيوبيا والصومال ، ومن ثم إلى الداخل (١) . والواقع أن سواحل منطقة القرن الأفريقى كانت دائماً مراكز مهمة للمواصلات ، ومنطقة لاستقبال الهجرات منذ أقدم العصور ، وهى

---

(١) محمد بن حبيب . كتاب المنمق فى أخبار قریش . تحقيق خورشيد أحمد فاروق (بيروت ١٤٠٤هـ/١٩٨٥م) ص ٣٢ وما بعدها ؛ أبو محمد بن عبد الملك بن هشام . السيرة النبوية ، تحقيق مصطفى السقا وآخرين ( القاهرة : د . د . ت ) ج ١ ، ص ٣٢١ - ٣٢٢ ؛ السر سيد أحمد العراقى . " الإسلام ومراكز الثقافة الإسلامية فى أثيوبيا والصومال " . ( ندوة العلماء الأفارقة ومساهماتهم فى الحضارة العربية الإسلامية - الخرطوم ٢٨ / ٣٠ يوليو ١٩٨٣ م ) المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، معهد البحوث والدراسات العربية ( بغداد ، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م ) ص ١٥٩ - ١٦٠ ، غيثان ابن على بن جريس . بحوث فى التاريخ والحضارة الإسلامية . تقديم ومراجعة سعيد عبد الفتاح عاشور ( الإسكندرية ، ١٩٩٤م ) ج ١ ، ص ٩ - ٣٧ .

الهجرات التى لعبت دوراً كبيراً فى تشكيل الحياة الاجتماعية والثقافية والفكرية فى منطقة حيوية هاجر إليها المسلمون ، وانتشروا فيها ، مما أدى إلى قيام ممالك إسلامية عرفت باسم " دول الطراز الإسلامى " وأهمها مملكة ( أوفات ) الإسلامية التى بلغت درجة كبيرة من التقدم والرفاهية فى العصور الوسطى فضلاً على ما أسهمت به فى نشر الإسلام والحضارة الإسلامية، كما تزعمت حركة جهاد إسلامى ضد أباطرة الحبشة وبطارقتها . والاهتمام بدراسة منطقة تعتبر من المناطق الإسلامية المهمة التى أدت دورها كاملاً فى نشر الإسلام والثقافة الإسلامية ، جدير بالناية والاهتمام وذلك اعتزازاً بالتراث الإسلامى وحفاظاً له من الضياع ، وعملاً على تسجيله فى صفحات التاريخ ، فضلاً على إبراز الجهود الرائعة التى بذلت فى مجال نشر العقيدة الإسلامية فى تلك الحقبة . ومن هنا كان اهتمامنا بدراسة موضوع " مملكة أوفات الإسلامية " بوصفه من الموضوعات المهمة الجديرة بالبحث والتقصى ، إذ تمثل الفترة التى شغلتها تلك الدولة الإسلامية ، حلقة من حلقات تاريخ منطقة مهمة لم تحظ بنصيبها الكافى من الدراسة . وقد شملت مملكة ( أوفات ) الإسلامية سواحل وداخلية شمال وشرق جمهورية الصومال ، وجمهورية جيبوتى ، وبعض مناطق الصومال الغربى ( أوجادين ) حتى أطراف هضبة شوا الحالية وبعض مناطقها الشرقية ، كما امتدت فى بعض فترات سيادتها إلى معظم أجزاء أثيوبيا الحالية (١) .

(١) للمزيد من التفاصيل انظر ، أنطونى سلى . الجغرافية الاجتماعية لأفريقيا .

ترجمة إبراهيم رزقانة ومحمد جمال الدين رزقانة ( الإسكندرية ، ١٩٨١م ) ص ٢٥٦

- ٢٥٨ ؛ غيثان بن على بن جريس . " الهجرات العربية إلى ساحل شرقى أفريقية فى



لم تكن سواحل أثيوبيا والصومال مجهولة لدى شعوب العالم الخارجى منذ أقدم العصور ، إذ كشفت البحوث التاريخية والأثرية عن وجود صلات قديمة ومستمرة بين هذه السواحل وشعوب العالم الخارجى . وقد اهتم العرب بالدراسات الجغرافية والفلكية والطبيعية والتجارية المتعلقة بتلك البلاد . وأشهر الرواد العرب الذين تحدثوا عن بلاد أفريقيا الشرقية، وخاصة أثيوبيا والصومال هم: المسعودى وابن حوقل والإصطخرى والأدريسى وأبو الفداء وغيرهم<sup>(١)</sup>.

وهكذا كان العرب من أهم الشعوب التى اتصلت بأثيوبيا والصومال منذ القدم ، وقد نشطوا فى الاتصال بتلك المناطق منذ زمن دول معين وسبأ وحمير فى اليمن وكان لهذه الدول نشاط كبير فى الحركة التجارية البحرية والبرية إذ تمكنت من السيطرة على تجارة العالم القديم فى المحيط الهندى وسواحل شرق أفريقيا . كذلك كان لعرب الحجاز دور كبير فى هذا المضمار ، بعد أن تمكنوا من السيطرة على ناصية التجارة عقب تدهور دول الجنوب منذ

---

= العصور الوسطى وآثارها الاجتماعية والثقافية والتجارية حتى القرن الرابع الهجرى " ( بحث منشور بمركز بحوث كلية التربية بأبها - جامعة الملك سعود ، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م ) ص ١ - ٨ .

(١) للمزيد من التفاصيل انظر ، على بن الحسين المسعودى . مروج الذهب ومعادن الجوهر ( بيروت ، ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤م ) ج ٢ ، ص ٣٤ وما بعدها ، أبو القاسم ابن حوقل ، كتاب صورة الأرض ، تحقيق ام . دى غوى ( ليدن ، ١٩٣٨ م ) ص ٣٤ وما بعدها ؛ إبراهيم بن محمد الإصطخرى . مسالك الممالك . تحقيق ام . دى غوى ( ليدن ، ١٩٢٧م ) ص ٧-٨ ؛ محمد بن عبد الله الإدريسى . كتاب نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق ( بيروت ، ١٤٠٩ هـ / ١٩٨٩م ) ج ١ ، ص ١٠٩ - ١٣١ ؛ عماد الدين إسماعيل أبو الفداء . تقويم البلدان ( باريس ، ١٨٤٠م ) ص ١٥٢ - ١٦٣ ؛ السر العراقى " الإسلام ومراكز الثقافة الإسلامية ... ص ١٥٩ - ١٦١ .

القرن السادس الميلادي<sup>(١)</sup> ثم تدفقت مجموعات العرب والمسلمين بعد ازدهار الإسلام ديناً ودولة ، فأنشأوا المراكز والإمارات العربية ، ونشروا الإسلام بين القبائل الأفريقية التي كان من أهمها : الصوماليون والأحباش والديناقل والجالا والباننتو والبجة ، ومن بينهم الأريتريون وغيرهم وقد حمل دعاة الإسلام إلى هذه البلاد حضارة ذات مظاهر ثلاثة :

- ١ - طابع الحضارة العربية من حرية العقيدة وحرية الفكر وعدم الجمود.
- ٢ - ثقافة عربية إسلامية جامعة شاملة لمختلف الفنون والعلوم .
- ٣ - الدين الإسلامي نفسه الذي يتلائم مع كل زمان ومكان .

وهكذا كان المهاجرون يحملون طابعاً جديداً بالإضافة إلى نشاطهم التجارى القديم وهذا الطابع الجديد يتمثل فى عقائدهم ومذاهبهم التى سادت فى بلادهم نتيجة لظهور الإسلام وماتلاه من نشوء الفرق والمذاهب الواحدة تلو الأخرى لنشر الدعوة ، وتحكمت فى ذلك عوامل اقتصادية أو سياسية أو دينية أو اجتماعية ، إذ إنها جميعاً لم تصل فى وقت واحد .

وقد قامت الدعوة للدين الإسلامى فى أثيوبيا منذ ظهور الإسلام ، ويؤرخ لدخول الإسلام فى أثيوبيا بهجرة المسلمين الأولى للحبشة ، ثم كثر

---

(١) أحمد بن واضح اليعقوبى . تاريخ اليعقوبى ، تحقيق هوتسمان ( ليدن ، ١٨٨٣م )  
 ج٢ ، ص ١٧٧ ، أحمد بن يحيى البلاذرى . فتوح البلدان ، تحقيق صلاح الدين المنجد . ( القاهرة ، د . ت ) ص ١٥٣ ، ٧٠٣ ، جواد على . المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام ، ط٢ ( بغداد ، ١٩٧٧م ) ج٢ ، ص ٣٠١ - ٣٠٢

R. Coupland .

East Africa and its Invaders ( Oxford , 1938 ) pp . 15 - 16 , A . Z . March & G . W . Kingsnorth . An Introduction to History of East Africa ( London , 1966 ) pp . 8 - 9 ; P - Crone . Meccan Trade and the Rise of Islam ( Oxford , 1987 ) pp . 124 - 5 ; M . J . Kister " Some Reports Concerning Mecca from Jahiliyya to Islam " Studies in Jahiliyya and Early Islam . ( London , 1980 ) pp . 61 - 62 .

توافد المسلمين بعد ذلك للأهداف التجارية بعد أن دانت لهم بلاد العرب ، حتى اضحوا يتحكمون فى طرق القوافل داخل الجزيرة العربية . كما أسهموا بنشاط كبير فى التجارة الشرقية بين مصر والهند عن طريق البحر الأحمر ، كذلك اخترق عدد منهم الحدود الحبشية وأسسوا مراكز استقرار بالتدريج ، وتحكموا فى ثغور الحبشة المهمة التى كان من أهمها ميناء عدوليس (Adulis) مما أدى فى نهاية الأمر إلى القضاء على تجارة الحبشة الخارجية (١) . ونتيجة لذلك انحطت مملكة أكسوم الحبشية ، وهى المملكة المسيطرة على ذلك الجزء رِبحاً طويلاً قبل ظهور الإسلام . وقد أخذ الإسلام بعد أقول أكسوم الحبشية يتقدم بخطى واسعة من الساحل إلى الداخل ، فاعتنقته القبائل التى تسكن شواطئ أرتيريا ، ثم انتشر بين بعض القبائل الناطقة بلغة التيجرى وفى جزء من قبيلة البلين فى معظم البجه ، وكذلك بين القبائل المتفرقة المسماة الجبرته وقبيلة الدناقل ( الدناكل ) ، وتكونت على أثر ذلك مراكز استقرار على طول الساحل الشرقى لأفريقيا ، امتدت من سواكن على ساحل البحر الأحمر إلى مقديشو ومركة وبراوو وممبسة وزنجبار وكلوة . وفى الداخل من أثيوبيا امتزج المسلمون بالوطنيين وصاهروهم ، فأخذ الإسلام ينتشر تدريجياً

---

(١) انظر ، جلال الدين السيوطى . أزهار العروش فى أخبار الحبوش . مخطوط ومصور عن نسخة بالأسكوريال ، ميكروفلم رقم ( ٢٧ ) تاريخ ( دار الكتب بالقاهرة ) ورقة ٣٦ وما بعدها ؛ إبراهيم على طرخان . الإسلام والممالك الإسلامية بالحبشة فى العصور الوسطى . ( القاهرة ، ١٩٥٩ ) ص ٢٩ - ٣٠ . غيثان بن على بن جريس . "تطور العلاقات السياسية والتجارية بين الحبشة وبلاد النوبة وبين الحجاز فى صدر الإسلام " مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية . العدد ( ٨ ) رجب ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م ) ص ٤١٢ - ٤٣٣ ؛ وللمؤلف نفسه . الهجرات العربية وانتشار الإسلام فى بلاد شرق أفريقية " مجلة المؤرخ العربى . ( القاهرة ، ١٩٩٥ ) العدد ( ٣ ) المجلد (١) ص ٦٧ - ٨٥ .

واعتنقته عناصر الساهو والعفر فى شرق الحبشة ، كما امتد إلى مناطق السيدامو الشرقية وجنوب الحبشة (١) . وكثر المسلمون فى أرض البجة ، وشجعهم على ذلك غنى المنطقة بمعادن الذهب والزمرد والفضة والنحاس والرصاص والحديد ، وامتزج المسلمون بالبجاويين وصاهروهم ، وكان من نتيجة ذلك دخول كثير من أهل البجة فى الإسلام . وأشهر القبائل العربية التى استقرت بها قوم من ربيعة وقحطان ، إلا أن قبائل ربيعة كانت أقوى العناصر التى سادت وغلبت على من جاورها من العرب القحطانيين (٢) .

ومن المراكز التى تأسست فى منطقة شوا الشرقية بالحبشة مملكة يحتمل أنها قامت حوالى نهاية القرن الثالث الهجرى ( نهاية القرن التاسع

---

(١) المسعودى ، مروج الذهب ، ج١ ، ص ٥١ - ٥٢ ؛ يوسف فضل " انتشار الإسلام فى السودان ودأى النيل " ندوة العلماء الأفارقة ومساهماتهم فى الحضارة الإسلامية ( الخرطوم ٣٠/٢٨ يوليو تموز ١٩٨٣ ) ( بغداد ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥ م ) ص ٢٥ - ٢٦ ؛ توماس أرنولد . الدعوة إلى الإسلام . ترجمة حسن إبراهيم حسن ، وعبد المجيد عابدين ( القاهرة ، ١٩٤٧ م ) ص ٢٨٧ وما بعدها .

J. S. Trimingham . Islam in Ethiopia ( London, 1962 ) pp. 5 - 7, 32; Kamerer, Abyssinie et la mer Rouge ( Le Cairo, 1929 ) p. 58; C. N. Stigand . The Land of Zing ( London, 1913 ) pp. 104, 107; R. Reusch . History of East Africa ( New York, 1961 ) pp. 18- 20 .

(٢) أحمد بن على المقرئ - الإمام بأخبار من بأرض الحبشة من ملوك الإسلام ( القاهرة د. ت. ) ص ٢٢ وما بعدها ؛ أحمد الحفنى القنائى . الجواهر الحسان فى تاريخ الحبشان ( القاهرة ١٣٢١هـ / ١٩٠٣ م ) ص ١٥ - ١٦ ؛ عبد الشافى غنيم عبد القادر " البحر الأحمر طريقاً للدعوة الإسلامية " البحر الأحمر فى التاريخ والسياسة المعاصرة . أبحاث الأسبوع العلمى ١٠ - ١٥ مارس ١٩٧٩ م . ( القاهرة ، ١٩٨٠ م ) ص ٧٨ وما بعدها .

Yusuf Fadl Hassan .

The Arabs and the Sudan ( Khartoum, 1973 ) pp. 59 - 66 .

الميلادى) ( ٢٨٢هـ - ٨٩٦م ) بزعامة أسرة عربية تنسب إلى قبيلة مخزوم القرشية ، وهى التى ينسب إليها خالد بن الوليد ويقال أن أفراد هذه الأسرة هاجروا عبر البحر الأحمر على عهد خلافة عمر بن الخطاب بزعامة ود بن هشام لتستقر هناك فى منطقة من أخصب مناطقها وهى منطقة شوا (١) .

كذلك قامت مشيخات إسلامية أخرى فى تلك المنطقة ومايلها شرقاً فى عدل ( Adel ) ومورا ( Mora ) وهوبات ( Hobat ) وجيدايا ( Jidaya ) غير أن هذه جميعاً لم تعمر طويلاً نظراً للخلافات والتنافس فيما بينها ، فضلاً على أن عنايتها كانت منصبه على شئون التجارة ، ولاسيما تجارة الرقيق ، فسرعان ما طوتها أقوى الإمارات الإسلامية فى بلاد الحبشة وهى إمارة أوفات (٢) .

ولعل الفترة البارزة فى التوسع الإسلامى فى أثيوبيا ، تقع بين القرنين (الرابع والسادس الهجريين ) ( العاشر والثانى عشر الميلادى ) ، فهذه هى فترة التوسع المنظم للإسلام ديناً ودولة ، من ناحية نشر العقيدة الإسلامية ، وتدعيم سلطان الممالك الإسلامية ، ولو على حساب بعضها البعض داخل الوطن الحبشى، فمثلاً تحولت منطقة نهر جوبا للإسلام حوالى عام ( ١١٠٨ م ) ، وامتد سلطان المسلمين حتى منطقة البحيرات العظمى (٣) .

(١) للمزيد من التفاصيل انظر حمدى السيد . الصومال ( القاهرة ، ١٩٥٠ م ) ص ٣٥٠

- ٣٥١ ، غيثان بن على بن جريس " الهجرات العربية وانتشار الإسلام فى بلاد شرق

أفريقية ... " ص ٧١ ، Trimingham, Islam in Ethiopia . pp . 50 ff .

(٢) أبو العباس أحمد القلقشندى . صبح الأعشى فى صناعة الأنشاء ( القاهرة ، ١٩٠٦ م )

ج ٥ ، ص ٣٢٤ وما بعدها ؛ غيثان بن على بن جريس . بحوث فى التاريخ والحضارة

الإسلامية ، ج ١ ، ص ١١ ، ٢٦٠ .

(٣) القلقشندى ، صبح الأعشى ، ج ٥ ، ص ٣٢٢ - ٣٢٣ ، غيثان بن على بن جريس ،

الهجرات العربية وانتشار الإسلام فى بلاد شرق أفريقية ... " ص ٧١ - ٧٢ ،

Trimingham, Islam in Ethiopia , pp . 62 ff .

فأصبحت هذه الرقعة الإسلامية الممتدة فى جزء من أفريقيا الشرقية تحيط بالحبشة من الناحية الشرقية ، وتقابل اليمن فى الجزيرة العربية ، ومن أجل هذا الوضع الجغرافى نعتها المؤرخون بمنطقة " الطراز الإسلامى " لأنها على جانب البحر كالطراز له (١) . واشتهر فى هذا الطراز إمارات سبع أو ممالك سبع وهى : أوقات ، دوارو ، أرابينى ، هدية ، شرخا ، بالى ، دارة (٢) . وقد اتسم تكوين هذه الممالك بالطابع السلمى التجارى أو الاقتصادى بصفة عامة ؛ إذ امتلك المسلمون ناصية التجارة الداخلية والخارجية ، ولم تكن فى نشأتها وتوسعها عسكرية أو سياسية - فى أول أمرها على الأقل - ويرجع ذلك إلى أن الحبشة هى موطن الهجرة الإسلامية الأولى " حيث أصاب المسلمون الدار والقرار " فلم تكن دار جهاد .

ثم إن هذه الممالك ارتبطت بالعالم الإسلامى الخارجى ، وتوطدت صلتها به عن طريق التجارة والحج ، وانتقال طلاب العلم للدراسة فى المدينة المنورة ودمشق والقاهرة ، وصار لرواد الثقافة الإسلامية أروقة خاصة بهذه المراكز ، فهناك رواق أهل الزيلع بالمسجد الأموى بدمشق ، وكذلك أفرد رواق لهؤلاء بالأزهر يعرف برواق الجبرية (٣) .

(١) القلشندى ، صبح الأعشى ، ج ٥ ، ص ٣٢٣ - ٣٢٥ ، عبد الرحمن زكى . الإسلام

والمسلمون فى شرق أفريقية ( القاهرة ، ١٩٦٥ م ) ج ١ ، ص ٧٧ - ٨٠ .

(٢) ابن فضل الله العمرى . مسالك الأبصار فى ممالك الأمصار ( القاهرة ، ١٣٤٢ هـ /

١٩٢٤ م ) ج ١ ، ص ١١ - ١٢ ، ١٨٤ - ١٨٥ ؛ إبراهيم طرخان . الإسلام والممالك الإسلامية بالحبشة فى العصور الوسطى ، ص ٩٥ وما بعدها .

(٣) للمزيد من التفاصيل انظر ، أبو عبد الله محمد بن عبد الله اللواتى ، المعروف بابن

بطوطة . تحفة النظر فى غرائب الأمصار وعجائب الأسفار ( القاهرة ، ١٣٢٢ هـ )

ج ٢ ، ص ٧٣ وما بعدها ؛ غيثان بن على بن جريس " الهجرات العربية وانتشار الإسلام فى بلاد شرق أفريقية ... " ص ٧٢ .

وتعتبر سلطنة أوفات أقوى سلطنة إسلامية قامت في أثيوبيا بسبب تحكمها في الطريق التجارى الذى يربط الداخل بميناء زيلع ، وقد أسسها قوم من قريش من بنى عبد الدار أو من بنى هاشم من ولد عقيل بن أبى طالب ، وسلطنة أوفات هى التى تزعمت حركة الجهاد ضد الحبشة المسيحية (١) . أما الوضع السياسى لتلك الممالك الإسلامية فإنها كانت خاضعة لملك الحبشة ، وعليها أن تدفع ضرائب معينة فى كل سنة لملك الحبشة ، من القماش والحريز والكتان مما يجلب إليها من مصر واليمن والعراق (٢) .

وهكذا نجم عن انتشار الإسلام فى أثيوبيا قيام عدة إمارات ومراكز أهمها سلطنة أوفات الإسلامية ، وهى جميعاً مستقلة داخلياً وتدفع الجزية أحياناً لملك الحبشة ، وكانت الكنيسة القبطية فى مصر تكلف مبعوثيها فى بعض الأوقات، بمراعاة مصالح المسلمين فى الحبشة، فمثلاً تدخل بدر الجمالى وزير الخليفة المستنصر الفاطمى ( ٤٢٧-٤٨٧هـ / ١٠٣٥-١٠٩٤م ) فى اختيار أسقف معين للحبشة هو الأب ساويرس، وذلك عام ٤٧٣هـ / ١٠٨٠م، واشترط عليه رعاية جانب المسلمين، والاهتمام ببناء المساجد، والإكثار منها (٣) .

---

(١) ابن بطوطة ، تحفة النظار ... ، ج٢ ، ص ٧٣ - ٧٥ ، القلقشندى ، صبح الأعشى ، ج٥ ، ص ٣٣٢ .

(٢) القلقشندى ، صبح الأعشى ، ج٥ ، ص ٣٣ ؛ غيثان بن على بن جريس . " العرب فى مقدشو وأثرهم فى الحياتين السياسية والثقافية فى ظل الإسلام " مجلة المورخ العربى بالقاهرة ( ١٩٩٣ ) العدد (١) ص ١٢٨ وما بعدها .

(٣) للمزيد من التفاصيل ، انظر . " الإسلام ومراكز الثقافة الإسلامية فى أثيوبيا والصومال " ص ١٦٣ وما بعدها .

وقد سيطرت على ملوك الحبشة عدة عوامل فى صراعهم ضد المسلمين ، أهمها العامل السياسى والاقتصادى للحد من نشاط المسلمين التجارى ، والاستيلاء على مواطنهم لتوسيع مملكتهم . ويأتى بعد ذلك العامل الدينى ، فالحبشة مسيحية متعصبة لمسيحيته ، لكن ربما كان أساس النزاع سياسياً أكثر منه دينياً . وليس بغريب إذا علمنا أن الأرض التى سيطر عليها المسلمون فى الحبشة فاقت فى مساحتها أرض مملكة الحبشة المسيحية ، وأن هذه الرقعة الإسلامية كانت تحيط بالأقاليم المسيحية من الجنوب والشرق ، فضلاً على إحاطة الإسلام بها من ناحية السودان فى الشمال والغرب . وقد أدى هذا إلى عزل مملكة الحبشة عزلاً تاماً عن العالم الخارجى ، ولاسيما بعد استيلاء المسلمين على ميناء عدل قرب مصوع ( ميناء أرتيريا الحالى على البحر الأحمر ) ، وعدل هو ثغر دولة أكسوم ومخرج أثيوبيا الوحيد إلى البحر الأحمر ، مما أدى إلى تدهور أحوال الحبشة (١) .

غير أنه حدث لما وليت الأسرة السليمانية عرش الحبشة عام ١٢٧٠م ، وأول ملوكها هو يكونو أملاك ( Yekuno Amlak ) ( ١٢٧٠ - ١٢٨٥ ) ، أن اتخذت هذه الأسرة خطة حاسمة لدعم سلطان الحبشة وتوسيع ملكها على حساب جيرانها المسلمين . ذلك أن السليمانين وجدوا المسلمين يسيطرون سيطرة تامة على التجارة والموانئ ، مما جعل أثيوبيا فى علاقاتها الخارجية تحت رحمة المسلمين ، فذبلت المدن الأثيوبية التى كانت مزدهرة ومنها مدينة أكسوم العاصمة التى فقدت أهميتها وحلت بالبلاد أزمات اقتصادية نتج عنها

(١) انظر ابن بطوطة ، تحفة النظار ... ج٢ ، ص ٧٣ وما بعدها ، إبراهيم طرخان ،

الإسلام والممالك الإسلامية بالحبشة ... ، ص ٣٥ - ٤٠

Budge, A History of Ethiopia, Vol. I, pp . 373 ff; Trimmingham, Islam in Ethiopia, pp . ff .



قحط<sup>(١)</sup> . وعلى ذلك بدأ الصراع بين المسلمين فى أثيوبيا والحبشة المسيحية رداً من الزمن ، وتزعمت أوفات أقوى الممالك الإسلامية بالحبشة حركة الجهاد ، وانضوى تحت لوائها بعض الولايات الإسلامية المجاورة ، واستمر هذا الصراع بين المسلمين والحبشة المسيحية حتى نهاية القرن الخامس عشر وبداية القرن السادس عشر ، حيث ظهرت فى الأفق قوى جديدة تتمثل فى ظهور الأتراك العثمانيين وقيام حركة الكشف الجغرافى ، فتقدم العثمانيون ، والبرتغاليون الذين قادوا حركة الكشف الجغرافى فسيطروا على سواحل زنجبار الشرقية فى المحيط الهندى ، كل يناصر الفريق الذى التمس العون منه . كذلك دخلت أسلحة جديدة لم يعرفها مسلمو الحبشة أو الأحباش فى نضالهم السابق ، ووجد المسلمون فى أثيوبيا عاملاً مهماً للارتباط بالعثمانيين الذين بسطوا سيطرتهم على سواكن وجزيرة زيلع ، وأنشأوا علاقات مع المسلمين فى مصوع التى يحتلها البرتغاليون ، وهو عامل الاتفاق فى الدين ، فضلاً على ترحيب العثمانيين بهذا الارتباط الدينى بجانب الأهداف التجارية . وقد تحملت سلطنة أوفات الإسلامية عبء الجهاد الدينى مع الأتراك العثمانيين فى منطقة القرن الأفريقى ضد الحبشة المسيحية التى يساندها البرتغاليون<sup>(٢)</sup>.

---

(١) انظر ، القلقشندى ، صبح الأعشى ، ج ٥ ، ص ١٣٠ .  
(٢) الشاطر البوصيلى عبد الجليل . معالم تاريخ السودان ووادى النيل ( القاهرة ، ١٩٥٧م ) ص ٦ وما بعدها . وللمزيد من التفاصيل عن دول الطراز الإسلامى السبع وعلى رأسها مملكة أوفات الإسلامية انظر ، القلقشندى ، صبح الأعشى ، ج ٥ ، ص ٣٢٤ - ٣٣٠ ؛ المقرئى : الإمام بأخبار من بأرض الحبشة من ملوك الإسلام ص ١٢٥ وما بعدها .

كانت الهجرة المخزومية ( هجرة بنى مخزوم ) هى أولى الهجرات العربية الإسلامية إلى منطقة القرن الأفريقى ، ونجح أحفاد ود بن هشام فى تكوين أول مملكة إسلامية فى منطقة القرن الأفريقى ، عرفت باسم مملكة شوا الإسلامية ، وكان ذلك فى عام ٢٨٣هـ / ٨٩٦م ، وحكمت المنطقة لمدة أربعة قرون ، واضطلعت بمسئولية نشر الإسلام فى الحبشة والصومال ، ولكنها لم تلبث أن تدهورت أحوالها واضمحلت نشاطها ، وكانت مرحلة احتضارها فى النصف الثانى من القرن الثالث عشر الميلادى عندما مزقتها الخلافات الداخلية والصراع الخارجى ، حتى سقطت فى عام ١٢٨٥م على أيدي سلطنة أوفات الإسلامية التى توسعت نحو الداخل والساحل لنشر نفوذ الإسلام فى تلك المنطقة (١) ، وإن دل هذا على شئ ، فإنما يدل على مدى تغلغل النفوذ الإسلامى وسيطرته السياسية حتى بلغ منطقة " شوا " و " السيدامو " والواقع أن سلطنة أوفات الإسلامية التى تأسست فى القرن الثالث عشر الميلادى أدت خدمات جليلة للإسلام والمسلمين ، واضطلعت بالدور الأكبر فى نشر الفكر والثقافة الإسلامية ، والحفاظ على التراث الإسلامى الكبير الذى تركته المسلمون فى منطقة القرن الأفريقى ومنطقة أفريقيا على وجه العموم (٢) .

وقد وصفت سلطنة أوفات الإسلامية بأن أبعادها بلغت خمسة عشر يوماً طولاً ، وعرضها عشرون يوماً بالسير المعتاد ، وكلها عامرة أهلة بقرى

(١) الفلقشندي ، صبح الأعشى ، ج ٥ ، ص ٣٢٤ ؛ حسن أحمد محمود ، الإسلام والثقافة

العربية فى أفريقيا ( القاهرة ، ١٩٦٣م ) ص ٤٣٢ - ٤٣٣ ؛ السر أحمد العراقى "

الإسلام ومراكز الثقافة ... ص ١٥٨ - ١٦١

Trimingham, Islam in Ethiopia, pp. 62-3.

(٢) السر العراقى " الإسلام ومراكز الثقافة ... ص ١٦٠ وما بعدها ؛

Trimingham, Islam in Ethiopia, pp. 58 ff.

متصلة ، وبها نهر جار ، وهى أقرب أخواتها إلى الديار المصرية وإلى سواحل اليمن ، كما أنها أوسع هذه الممالك أرضاً ، ويحكم ملكها على الزيلع ، ويبلغ جيشها خمسة عشر ألفاً من الفرسان ، ويتبعهم عشرون ألفاً أو أكثر من الرحالة ، وخیلهم عرّاب ، ما يركبون البغال<sup>(١)</sup> ومن مدنها المهمة الأخرى ، بلقنزر ، وكلجور ، وسمق ، وسوا ، وعدل ، وحنا ، ولاو<sup>(٢)</sup> .

ويعتبر ابن فضل الله العمرى أول من وصف مملكة أوفات الإسلامية وأخواتها من ممالك الإسلام فى قرن أفريقيا ، وصفاً دقيقاً ، اعتمد عليه اللاحقون اعتماداً يكاد يكون حرفياً ، واستمد معلوماته من فقهاء زيلعيين برئاسة الفقيه عبد الله الزيلعى ، قد وفدوا على مصر المملوكية وسلطانها "الناصر محمد بن قلاوون" ما بين ( ٧٣٣ - ٧٣٩هـ ) لأداء مهمة تتعلق بأمور ممالك المسلمين فى منطقة القرن الأفريقى ، ونقل عنهم العمرى أخبار هذه الممالك السبع ( الطراز الإسلامى ) ، وسجل أخبارهم فى كتابه الذى شمل أخبار جميع ممالك الإسلام فى أنحاء العالم الإسلامى . ويذكر العمرى فى بداية كتابه أنه لم ينقل إلا عن أعيان الثقافات ، من ذوى التدقيق فى النظر ، والتحقيق للرواية<sup>(٣)</sup> .

وفى القرن التاسع الهجرى ( الخامس عشر الميلادى ) كتب المقرئى رسالة " الإمام " ، ونقلها من أفواه رواة قادمين من بلاد الزيلع أثناء موسم الحج سنة ٨٣٩هـ/١٤٣٥م ، وأطلق على ممالك المسلمين فى منطقة القرن

---

(١) للمزيد من التفاصيل عن طبيعة سلطنة أوفات ، انظر ، أبو الفداء . تقويم البلدان ،

ص ١٦٠ - ١٦١ ؛ العمرى . مسالك الأبصار فى ممالك الأمصار ، ج٢ ، ورقة

١٨٣ وما بعدها .

(٢) المصدر نفسه ، ج٢ ، ورقة ١٨٥ .

(٣) المصدر نفسه ، ج١ ، ص ٢ وما بعدها .

الأفريقى اسم " بلاد الزيلع " وطول أرضها براً وبحراً حوالى مسيرة شهرين وعرضها أكثر من شهرين ، إلا أن غالبها قفار غير مسكونة ، ومقدار العمارة مسافة ثلاثة وأربعين يوماً طولاً فى عرض أربعين يوماً ، وتنقسم إلى سبع ممالك ، ولكل مملكة من الممالك السبع ملك ، وطول مملكة أوفات خمسة عشر يوماً فى عرض عشرين يوماً كلها عامرة بالقرى ، وملك أوفات يحكم على الزيلع ، وهى بلاد حارة (١) .

لقد غطت مملكة أوفات على كل سهل زيلع وشرق شوا والمنحدرات المؤدية إلى أودية هواس ، وإلى خليج عدن والمحيط الهندى . وبمعنى آخر ، فقد سيطرت على أجزاء هامة من سواحل جمهورية الصومال الشمالية والشمالية الشرقية ، وجمهورية جيبوتى ، وإقليم هرر فى الصومال الغربى (أوجادين فى الحبشة حالياً) ، كما أن قبائل العفر ( الدناكل أو الدناقل ) حول بحيرة أوسا كانوا يدينون لحكامها بنوع من الولاء ، وحينئذ كانت تسيطر على طرق التجارة المتجهة إلى زيلع ، وهى الأولى من بين الممالك الإسلامية التى تتمتع بأهمية سياسية وعسكرية كبيرة (٢) .

وقد وصف الرحالة الطنجى " ابن بطوطة " سنة ١٣٣١ مدينة زيلع فذكر أنها للبربر السودان " ومذاهبهم شافعية " وبلادهم صحراء مسيرة شهرين، أولها زيلع وآخرها مقدشو، ومواشيهم الجمال ولهم أغنام مشهورة (٣) .

(١) انظر ، المقرئى ، الإمام ، ص ٦ - ٧ .

(٢) انظر ،

Ullendorff, Ency off Islam, art " Habashs " Vol . 3, Taddesse Tamrat . Church and State in Ethiopia 1270 - 1527 . ( Oxford, 1972 ) pp . 134 - 5 .

(٣) للمزيد انظر ، ابن بطوطة ، تحفة النظار... ( طبعة بيروت ، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م )

ج ١ ، ص ٢٧٩ - ٢٨٣ .

وهناك إشارة أخرى أوردتها الجغرافى المشهور بالدمشقى أكثر تفصيلاً للمناطق الساحلية ، إذ سمي كل منطقة باسم سكانها ، وأطلق على خليج عدن اسم بحيرة بربرة ، وأشار إلى بلاد الحبشة وأرض باضع وجبرة ( على ساحل البحر الأحمر الغربى ) (١) ، وساحل زنجبار وأرض الزيلع ، وأرض أوتل . ويقصد بأرض جبرة بلاد مملكة أوفات ، كما أن اسم " أوتل " تحريف اسم عدل أو أودل الصومالى(٢) .

وهكذا تدفقت الهجرات العربية الإسلامية إلى هذه الأماكن الداخلية فى سهول زيلع وهضبة هرر ومنحدرات شوا ، وإقليم وادى الصدع الكبير ، وبالى وسيدامو ، وامتزجوا بالوطنيين ، وأخذت الأسلحة تنتشر تدريجياً ، حتى تأسست ممالك إسلامية فى تلك البقعة ، وأقدمها مملكة شوا الإسلامية حوالى(٢٨٣هـ/٨٩٦م) بزعامة أسرة عربية مخزومية،سبقت الإشارة إليها(٣).

كذلك قامت بعد ذلك عدة مشيخات إسلامية فى المناطق الداخلية والساحلية ، منها سلطنة " عدل ومورا وهويات وجيدايا ، إلا أنها لم تعمر طويلاً نظراً للخلافات فيما بينها ، وسرعان ماطوتها إحدى أقوى الممالك الإسلامية فى منطقة القرن الأفريقى وهى مملكة أوفات الإسلامية .

---

(١) شمس الدين محمد الأنصارى الدمشقى . نخبة الدهر فى عجائب البر والبحر . ( بطرس بورغ ، ١٨٦٥م ) ص ١٥١ - ١٥٣ .

(٢) أودل ( Awadel ) اسم محلى أطلقه الصوماليون على مدينة زيلع وما يجاورها من البلاد . وهو مركب من ( Aw ) أى الشيخ . ودل ( Dal ) تعنى الوطن ، ويكون وطن الشيخ أو العلماء . ويعتقد أنه تحريف لكلمة عدل التى اشتهرت بها مملكة عدل الإسلامية التابعة لمملكة أوفات .

(3) Trimingham. Islam In Ethiopia. pp . 58 ff .

وقد أسس مملكة أوفات قوم من قریش ، فمنهم من يقول هم من بنى عبد الدار ، ومنهم من يقول إنهم من بنى هاشم ، ثم من ولد عقيل بن أبى طالب ، قدم أولهم من الحجاز ونزلوا أرض جبرة التى اشتهرت بجبرت ، وهما من أراضي الزيلع ، واستوطنوا بها وأقاموا بمملكة " أوفات " . وعرف جماعة منهم بالخير ، واشتهروا بالصلاح إلى أن كان منهم " عمر ولشمع " . حكم عمر هذا مدينة أوفات وأعمالها لمدة طويلة ، وصارت له بها شوكة قوية حتى مات ، وترك أربعة أولاد أو خمسة ، ملكوا أوفات من بعده واحد منهم بزو ، ومنهم حق الدين الأول ، حتى كان آخرهم صبر الدين محمد الذى ملك أوفات سنة ٧٠٠هـ ( ١٣٠٠م ) وطالت مدته (١) .

وإذا كانت المصادر قد أجمعت على أن عمر ولشمع هو مؤسس مملكة أوفات، إلا أن تاريخ تأسيسها يكتنفه الغموض ، فعلى حسب رواية المقرئى، حكم عمر أوفات مدة طويلة ، ثم خلفه أبناؤه الأربعة أو الخمسة ، حتى آلت السلطنة إلى آخرهم " صبر الدين محمد " فى حوالى سنة ٧٠٠هـ ( ١٣٠٠م ) . ومن هنا يرجح أن تأسيس هذه المملكة يرجع إلى النصف الأول من القرن الثالث عشر الميلادى وتشير الرواية إلى أن نسبه يصل إلى الحسن بن على ابن أبى طالب (٢) ، إلا أن هذا الإدعاء لم يسلم من نقد المؤرخين الذين ذكروا

(١) للمزيد من التفاصيل انظر : القلقشندى ، صبح الأعشى ، ج ٥ ، ص ٣٢٤-٣٣٠ ، المقرئى ، الإمام ، ص ٩ وما بعدها ، إبراهيم طرخان ، الإسلام والممالك الإسلامية بالحبشة ... ص ٣٢ - ٣٨ .

(٢) المقرئى ، الإمام ، ص ١١ وما بعدها ، الشيخ أحمد عبد الله زيراش . كشف السدول عن تاريخ الصومال وممالكهم السبعة . ( مقدشو ، ١٩٧١م ) ص ٦٩ - ٧٣ ؛ الحسين بن يحيى بن الحسين بن القاسم . غاية الأمانى فى أخبار القطر اليمانى ، تحقيق سعيد عبد الفتاح عاشور ( القاهرة ، ١٣٨٨هـ / ١٩٦٨م ) ج ٢ ، ص ٤ - ٧ .

أنهم مثل كثير من الأسر الإسلامية التي حكمت بلاداً إسلامية ، ادعت نسبها إلى الرسول ﷺ ، أو آل البيت ، أو النسب القرشي ، أو الأصول العربية عامة . ومهما يكن من أمر ، فقد شرع عمر ولشجع في توسيع نفوذ مملكته على حساب ممالك ومشايخ إسلامية في المنطقة ، ويبدو أنه بدأ توسعه على حساب مملكة شوا الإسلامية ، ثم أرسل حملات متعددة بعد ذلك إلى جيديبا وعدل ومورا وهوبات وزنجبار ، وتمكن من إخضاعها جميعاً . ثم امتد نفوذ هذه المملكة إلى شواطئ النيل الأزرق ، وامتد غرباً إلى أقليم نهر " أنكوى " . وكما بسطت أوقات نفوذها شرقاً إلى ساحل البحر الأحمر في منطقة الزيلع وسهل أوسا ، فقد وصلت سيطرتها جنوباً إلى شبه جزيرة حافون في المحيط الهندي ، وبالتالي أصبحت مملكة أوقات تتحكم في مساحة واسعة من أراضي متنوعة الموارد ، وسيطرت على كثير من الطرق التجارية البحرية منها والبرية ، فأصبح لها مركز الزعامة والصدارة على جميع الممالك التي قامت في المنطقة<sup>(١)</sup> .

وفي ظل هذا المركز السياسي والديني والاقتصادي ، حفل تاريخ هذه المملكة الإسلامية بالصراع من أجل البقاء ونشر الدين الإسلامي بين سكان منطقة القرن الأفريقي . ذلك أنه ما كاد يكتمل نموها وقوتها حتى خاضت غمار حروب طال أمدّها ، استنزفت كثيراً من مواردها ، وأضحت شغلها الشاغل ، ودمرت كثيراً من المدن والقرى والمساجد ودور العبادة الأخرى . وقد أضعفت هذه الحروب نشاط مملكة أوقات الثقافي والحضاري . ومن جهة

(١) للمزيد ، انظر : إبراهيم طرخان ، الإسلام والممالك الإسلامية ... ، ص ٣٢ - ٣٧ ،

حسن أحمد محمود ، الإسلام والثقافة العربية في أفريقيا ، ص ٤٥٢ - ٤٥٦ ؛

Trimingham , Islam in Ethiopia, pp . 67 - 8 .

أخرى ، توقف نشاط الدعوة من أجل نشر الإسلام وحضارته وثقافته وبقائه فى منطقة القرن الأفريقى ، وذلك بسبب الصراع الدموى بين المسلمين والمسيحيين فى تلك البقعة الأفريقية<sup>(١)</sup> .

ومع ذلك فإن مملكة أوفات الإسلامية ظلت على جانب كبير من القوة والعظمة منذ أيام مؤسسها " عمر ولشمع " ، نظراً لسيطرتها على منطقة استراتيجية واسعة . ويقال إنها خضعت فترة من الزمن لمملكة داموت الوثنية<sup>(٢)</sup> التى حكمت الجزء الجنوبى الشرقى لهضبة شوا ، إلا أن هذا الخضوع لم يدم طويلاً فسرعان ما تمكن عمر ولشمع فى بداية تأسيس دولته من القضاء عليها وضمها إلى مملكته<sup>(٣)</sup> .

(١) انظر : حسن أحمد محمود ، الإسلام والثقافة العربية فى أفريقيا ، ص ٤٣٩ - ٤٤١ ؛ سعيد عبد الفتاح عاشور " بعض أضواء جديدة على العلاقات بين مصر والحبشة فى العصور الوسطى " . مجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية، عدد ( ١٤ ) ( ١٩٦٨م ) .

F. F AL-Varis . ( A Portuguese ) Narrative of the Portuguese Embassy to Abyssinia During the Year 1520 - 1527 Trans by Lord Stanley ( London, 1881 ) pp . 311 - 314, 393 ff .

(٢) تقع بلاد داموت عند منابع نهر هواش فى الجزء الجنوبى الشرقى من هضبة شوا ، ومازالت وثنية حتى فتحها الوزير عدلى ( Adli ) فى أيام الأمير أحمد بن إبراهيم ، وللمزيد ، انظر : شهاب الدين أحمد عرب فقية . تحفة الزمان أو فتوح الحبشة ، تحقيق فهيم محمد شلتوت ( القاهرة ، ١٣٩٤هـ / ١٩٧٤م ) ص ١٧ ، ١١٣ ، ١١٥ ، ٣٠٨ ، ١٦٥ .

(٣) شهاب الدين أحمد بن حجر العسقلانى ، الدرر الكامنة فى أعيان المائة الثامنة . تحقيق محمد سيد جاد الحق ( القاهرة ، ١٩٦٦م ) ج ٣ ، ص ٤٣٢ - ٤٣٣ ؛ المقرئى ، الإمام ص ١٠ - ١٢ .



ويعتبر حق الدين محمد الثانى المؤسس الثانى لمملكة أوفات الإسلامية، واستمر حكمه لمدة عشر سنوات ( ٧٦٦ - ٧٧٦ هـ / ١٣٦٤ - ١٣٧٤ م ) . وتولى السلطنة بعده أخوه السلطان سعد الدين أبو البركات ، واتسعت المملكة وازدهرت فى عهده ، وكثرت عساكرها ، وذلك لما اتصف به من الحنكة السياسية ، وحسن تدبير أمور المملكة ، وفتح كثيراً من البلاد مثل بلاد زلان ، وبالى ، وامحرة ، وروعت أعماله وجهاده مملكة الحبشة المسيحية (١) .

على أن مملكة أوفات الإسلامية لم تسلم مما كان يحدث فى غيرها من الممالك من تنافس بين الأمراء ، وحروب على السلطة ، كما أنها كانت مطمئناً لكثير من ملوك الحبشة المسيحيين ، فشنوا عليها الغارات ، إلا أنها صمدت وخاضت المعارك الحربية العديدة صوناً للعقيدة الإسلامية ، وبدل بقاؤها على مسرح الحوادث وخوضها لحروب الجهاد ( النصف الثانى من القرن العاشر للهجرة / النصف الثانى من القرن السادس عشر للميلادى ) على أنها كانت على جانب كبير من القوة التى مكنتها من المحافظة على استقلالها طوال تلك الفترة . وكان شهاب الدين بن سعد الدين من ملوك تلك الفترة فى أوفات ، ممن ساروا فى طريق الجهاد ، وتوسيع نطاق نفوذ المملكة ، ونشر العدالة فى ربوعها ، كما تطلع إلى استعادة الممالك الإسلامية التى وقعت فى أيدي النصارى ، فتمكن من استعادة هدية ، وبالى (٢) .

(١) انظر ، المقرئى ، الإمام ، ص ١٩ - ٢٠ .

(٢) شوقى عطا الله الجمل . سياسة مصر فى البحر الأحمر فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر ( القاهرة ، ١٩٧٤ م ) ص ١٩٥ ؛ محمد محمد أمين . تطور العلاقات العربية الأفريقية فى العصور الوسطى ( القاهرة ، ١٩٧٧ م ) ص ٥٠ - ٥١ .

وقد أظهر أبناؤه من بعده حزماً ، وبذلوا مجهودات جبارة لإعادة فتح البلاد والتوغل إلى داخل مملكة الحبشة المسيحية نفسها ، واسترجاع مملكة أسلافهم ، وأعادوا الأمن والاستقرار إلى ممالك بالي ، وهدية ، ودوارو ، التي نجحوا في استعادتها من ملك الحبشة المسيحي فازدهرت مملكتهم في القرن الخامس عشر ومطلع القرن السادس عشر الميلادي ، وذلك لسيطرتهم على الموانئ المشهورة : زيلع ، وبربرة ، وتاجورة ، كما سيطروا على منطقة هرر الغنية بمحاصيلها الزراعية ، فضلاً على الطرق التجارية من وإلى مدينة هرر التي تقع على رأس مثلث قاعدته زيلع وبربرة . وكان ازدهار مملكة أوفات التجاري نتيجة لازدهارها السياسي ، وموقعها على البحر الأحمر والمحيط الهندي ، وبعدها عن مركز القوة الذي تسيطر عليه الحبشة المسيحية على الهضبة الأثيوبية فانضمت طرق القوافل التجارية بين الساحل والظهير القاري ، فضلاً عن انتظام التجارة الخارجية وازداد انتشار الإسلام في المنطقة بازدياد قوته السياسية متمثلة في مملكة أوفات الإسلامية (١) .

يذكر الفاريز Al - Varis مرافقُ رحلة البرتغال إلى الحبشة سنة ١٥٢٠ - ١٥٢٦م ، أن مملكة أوفات كانت ممتدة الأرجاء ، وتسيطر على الأراضي التي تطل على رأس قرن أفريقيا " رأس جاردافوي " كما كانت تمتلك زيلع وبربرة ، وأنه كانت لهذه المملكة علاقات وطيدة وقديمة مع

(١) انظر :

F. F. AL Varis . ( Father from Cisco ) Narrative of the Portuguese Embassy to Abyssinia During the Years 1520 - 1527 . trans and edited by Lord Stantey (London , 1881 ) pp 346 - 349 .

السلاطين والملوك المسلمين ، وخاصة فى اليمن ومصر ، وكذلك أشرف مكة ، وكان هؤلاء الحكام يرسلون إليها الأسلحة والخيول لمعاونتهم فى حروبهم ضد أباطرة الحبشة (١). ومنذ نهاية القرن الخامس عشر الميلادى ظهر فى أوفات أمراء متحمسون للإسلام ونشر العقيدة الإسلامية يساعدهم الفقهاء والعلماء ، وقد نقل السلطان " أبو بكر بن محمد " عاصمة السلطنة إلى مدينة هرر سنة ٩٢٨هـ / ١٥١٢م ، وذلك لأسباب محلية وعالمية ، ومنذ ذلك الحين تظهر أهمية مدينة هرر ، التى برزت فيها قوة المسلمين ، فاتسعت رقعة المملكة ، وضمت إلى أملاكها نحو ثلاثة أرباع مملكة الحبشة ، فضلاً على جميع مناطق ممالك المسلمين فى القرن الأفريقى ، وانهارت قوى الأحباش التى التزمت جانب الدفاع (٢) .

وقد واجهت مملكة أوفات الإسلامية منذ قيامها مشاكل عديدة ، من أهمها : تلك التى جاءت بها من الحبشة المسيحية وكانت الديانات السماوية ، اليهودية ، والنصرانية ، والإسلام تعيش جنباً إلى جنب ، بطريقة سلمية لعدة قرون فى منطقة قرن أفريقيا ، فتركز النصرانية واليهودية على المرتفعات ، ويتركز الإسلام فى المنخفضات الشمالية والشرقية والجنوبية . ومنذ أن عادت الأسرة السليمانية إلى عرش الحبشة ، وتحرك مركز المسيحية نحو أمهرا ( أمحرا ) فى الجنوب ، تطلعت هذه الأسرة إلى السيطرة على مملكة أوفات الإسلامية ، لأن أوفات كانت تسيطر على بلاد واسعة ذات إمكانات

(١) إبراهيم طرخان . الإسلام والممالك الإسلامية .... ، ص ٦٦ وما بعدها .

(٢) انظر : الشاطر البوصيلى ، معالم تاريخ السودان .... ، ص ١٠ - ١٢ ؛ حسن أحمد

محمود ، الإسلام والثقافة العربية ... ، ص ٤٤١ - ٤٤٣ ،

Roland Oliver and Antony & Atomore . The African Middle Ages 1400 - 1800 (Cambridge, Univ. Press, ) pp . 45 - 46 .

هائلة ، كما تسيطر على طرق التجارة بحزم . هذا ، بالإضافة إلى أن أوفات كانت تمتلك جيشاً قوياً ، وتنظيماً إدارياً محلياً ومتقناً ، فاستطاعت أوفات بهذه القدرات الهائلة أن تجابه الحبشة المسيحية التي تحاول القضاء على هذه المملكة الإسلامية العظيمة ، وهذا وحده عمق الصراع الطويل بين المملكتين الذى امتد إلى بعض العصور الحديثة ، مما يثبت دون شك أن المنطقة صارت مسرحاً لحروب صليبية واسعة النطاق استمدت أسبابها من قوى عالمية خارج الحبشة ، لها أهدافها المحلية والعالمية ، مخفية حيناً ومعلنة حيناً آخر ، تدفع الحبشة نحو التحامها بمملكة أوفات حتى تخضعها ، ويتسنى لها السيطرة على منافذ البحر الأحمر ، وبالتالي تستطيع أن تنفذ أهدافاً صليبية عامة ، ولا يمنع ذلك امتزاج عوامل اقتصادية بأخرى دينية سياسية (١) .

وكان أن برزت الأخطار على مملكة أوفات الإسلامية فى زمن ملك الحبشة يجباصيون Yagba Seyon ( ١٢٨٥ - ١٢٩٤ م ) واستعدت أوفات لمواجهة هذه الأخطار ، وبدأ الصراع بينهما فى شكل مناوشات بسيطة ومحدودة على الحدود والتخوم التى تفصل بين مملكتى الفريقين ، إلا أن ذلك قد تطور فيما بعد ، مما أدى إلى نشوب قتال ومعارك طاحنة بينهما . وقد جرد ملك الحبشة حملة على مملكة عدل - إحدى ولايات أوفات - ويرجع ذلك إلى إلقاء سلطات عدل القبض على مبعوث حبشى قدم من بيت المقدس ، وأجبرته على الختان بعد أن رفض اعتناق الإسلام ، ويقال أن إمارتين إسلاميتين ، عاونتا ملك الحبشة فى هذا الهجوم الذى أدى إلى

(١) عبد الرحمن زكى ، الإسلام والمسلمون فى شرق أفريقيا، ص ٤٣ - ٤٤ ،

Jean Doress. Ethiopia ( London, 1959 ) p . 5 - 11 ; Trimmingham, Islam in Ethiopia, pp . 68 - 70 .

نهب بلاد " عدل " ثم عقدت هدنة بين الطرفين ، فتحت بموجبها الحدود بين البلدين<sup>(١)</sup> ، ولكن رغم هذه الهدنة المعقودة ، فإن كلا منهما كان يحاول الاستعداد والتقاط أنفاسه ، وانتهزت أوفات فرصة تصارع وتكالب أبناء يجباصيون على السلطة ، فشنت هجمات متتالية على الحبشة واتخذت الجهاد ديناً وعقيدة ، واستطاعوا خلالها تقوية مراكزهم في المنطقة<sup>(٢)</sup> .

وفي عام ٦٩٨هـ - ٩٩/١٢٩٨ ) قام الشيخ محمد أبو عبد الله أحد شيوخ مملكة أوفات ، بجمع جيش جرار لفتح الحبشة والقضاء عليها قضاءً مبرماً لاعتداءاتها المتكررة على المسلمين والديار الإسلامية ، وحشد حوله مائتي ألف مسلم من الصومال والجالا ، وأعدهم للجهاد ، وغزا الحبشة ، التي اضطر ملكها إلى التنازل للمسلمين عن بضع ولايات على الحدود الشرقية<sup>(٣)</sup> .

كذلك ازدادت قوة مملكة أوفات أيام السلطان " صبر الدين محمد بن عمر ولشمع ( ٧٠٠ - ٧١٦هـ / ١٣٠٠ - ١٣١٦م ) الذي لم يستطع ملك الحبشة ودم أرعد ( Wedam Arad ) ( ١٢٩٩ / ١٣١٤م ) أن يرد هجماته القوية ،

---

(١) حسن أحمد محمود ، الإسلام والثقافة العربية... ص ٤٥٤ - ٤٥٥ ، إبراهيم طرخان ، الإسلام والممالك الإسلامية ، ص ٥٠ ؛ عبد الرحمن زكى ، الإسلام والمسلمون ... ، ص ٣٣٢ ، توماس أرنولد ، الدعوة إلى الإسلام ص ١٣٥ .

(٢) للمزيد ، انظر : عبد الرحمن زكى ، الإسلام والمسلمون ، ص ٣٣٢ - ٣٣٤ ، توماس أرنولد ، الدعوة إلى الإسلام ، ص ١٣٥ - ١٣٧ .

(٣) الشاطر البوصيلي ، معالم تاريخ السودان ... ، ص ١٣ - ١٤ ، إبراهيم طرخان ، الإسلام والممالك الإسلامية ، ص ٥٠ - ٥١ .

ويقال إنه بعث رسالة إلى البابا كليمت الخامس فى أفنيون بفرنسا ، وربما كانت لغرض روحى بحت ، أو لطلب مساعدة مادية ضد مملكة أوفات الإسلامية(١) .

ثم كان أن تمتعت المنطقة بفترة هدوء نسبى حتى عهد السلطان جمال الدين الأول (٧٢١ - ٧٧٨هـ) وانتهجت السلطة فى عهده سياسة التوسع فى أملاك الحبشة على أن الحرب استوفت بين الجانبين خاصة فى عهد ملك الحبشة يجباصيون الذى أعد حملة تعتبر من أشد الحملات الحبشية ضد مملكة أوفات فى النصف الأول من القرن الرابع عشر الميلادى ، ومنذ ذلك الحين اتسمت الحروب بطابع القسوة والشدة والوحشية بينهما منذ عام ١٣٢٩م ، وتحمل الجانبان خسائر فادحة فى الأرواح والمعدات ، وأحرقت أماكن العبادة، وقتل رجال الدين ، وخرب المسلمون الكنائس والأديرة وقتلوا الرهبان رداً على أعمال الحبشة الوحشية ضد المسلمين ، كما دخلوا مدناً مسيحية ، فى أثناء زحفهم على الحبشة ، وقتل الأحباش الأبرياء وخربوا المساجد ، واستمرت الحروب على هذه الطريقة لمدة ثلاثة قرون ، تهدأ حيناً ، وتثور أحياناً أخرى حسب ظروف وقوة وضعف حكام الطرفين ، لكنها فى كل الأحوال جهاد بين الهلال والصليب ، وتوسعت مجالاتها وميادينها ، بل تحولت إلى نزاع عالمى اشتركت فيه قوى خارجية لمساعدة الطرفين مثل

(١) للمزيد ، انظر : حسن أحمد محمود ، الإسلام والثقافة العربية ... ص ٤٥٣ ؛ عبدالرحمن زكى ، الإسلام والمسلمون فى شرق أفريقيا ، ص ٤٤ ؛ جمال زكريا قاسم ، الأصول التاريخية للعلاقات العربية الأفريقية ، (القاهرة ، ١٩٧٥م) ص ١٢٨ - ١٢٩ .

R. Burton . First Foot Steps in East Africa ( London, 1966 ) pp . 1781 - 2 .

المماليك والعثمانيين ودولة البرتغال المسيحية . ويظهر واقع حملة ( عمدا صيون ) على مملكة أوفات ، مدى الصعوبات التي كانت تواجه مملكة أوفات بشأن توحيد الجبهة الإسلامية ضد الحبشة ، وذلك راجع إلى طبيعة تكوين الممالك الإسلامية المبعثرة في مساحة أرضية شاسعة وسيئة المواصلات ، تتخللها قبائل بدوية وثنية ، وشعوب زراعية قلما تميل إلى الحروب كشعوب سيداما الزراعية ، فأدت هذه الظروف البشرية منها والطبيعية إلى أن أصبح أمر تنظيم الجيش وترحيله من منطقة إلى أخرى ، حسب متطلبات الجهاد ، أمراً في غاية الصعوبة ، فحلّت الهزائم على أوفات وأخواتها على الرغم مما أبدوه من مقاومة بأسلة وجهاد متصل (١) .

وهكذا تضافرت عدة عوامل لإضعاف مملكة أوفات الإسلامية وسقوطها في النهاية فكانت هناك عوامل داخلية خاصة بمملكة أوفات وظروفها الداخلية كالحروب الطويلة الأمد التي خاضتها ، والتنافس على السلطة بين أمرائها . أما العوامل الأخرى الخارجية فتتمثل في نجاح البرتغاليين في الدوران حول قارة أفريقيا ، وتحول التجارة الشرقية إلى طريق رأس الرجاء الصالح ، ومحاولة سيطرة البرتغاليين على منافذ البحر الأحمر ، والتحالف مع الحبشة ، مما أدى إلى صراع مملوكي برتغالي حول هذه التجارة ، وإنقاذ العالم الإسلامي من سيطرة صليبية ، فاشتدت ضراوة

---

(١) شهاب الدين عرب فقية ، فتوح الحبشة ، ص ١٤٩ - ١٥٧ ، سعد بدير الحلوانى . " الاتصالات الأوربية الحبشية وأثرها على العالم العربى فى أواخر العصور الوسطى وفجر الحديثة " . الصراع بين العرب والاستعمار فى عصر التوسع الأوربى الأول (ندوة عقدها اتحاد المؤرخين العرب فى القاهرة ٢٥ - ٢٦ جمادى الآخرة (١٤١٥هـ) ٢٨ - ٢٩ نوفمبر ١٩٩٤م ( القاهرة ، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م ) ص ٢٠٢ وما بعدها .

الحروب بين المسلمين والصليبيين فى القرن الأفريقى ، مما أدى فى النهاية إلى سقوط كل من اليمن ومصر على أيدى الأتراك العثمانيين الذين حملوا لواء الجهاد الإسلامى ضد البرتغاليين فامتدت سيطرتهم إلى شواطئ مملكة أوفات التى تأثرت بالكشوف البحرية . وكان الأحباش قد التفوا حول القوة البرتغالية التى أحرزت النصر على جيش المسلمين لوفرة الأسلحة النارية البرتغالية ، وكان الجيش الإسلامى يقوده المجاهد الكبير أحمد بن إبراهيم (الجران)<sup>(١)</sup> الذى طلب مساعدة العثمانيين باعتبارهم أقوى قوة إسلامية فى الشرق العربى آنذاك ، فأرسل إليه مصطفى باشا النشار أول ولاية العثمانيين فى اليمن ( ١٥٤٠ - ١٥٤٥ م ) حملة مكونة من خمسمائة جندى ، وقيل تسعمائة ، مزودين بالبنادق ، ومنذ ذلك الزمن اتخذ الصراع فى القرن الأفريقى صفة الصراع الدولى<sup>(٢)</sup> .

وكان انتصار البرتغاليين ومفاجأتهم للجيش الإسلامى عام ٩٤٩هـ / ١٥٤٣م واستشهاد الإمام أحمد بن إبراهيم (الجران) ، ضربة قاصمة للقوى الإسلامية ، فمنذ ذلك الحين نجح البرتغاليون فى تطويق العالم الإسلامى لسيطرتهم على مياه المحيط الهندى ، وتهديدهم المباشر لمنافذ الخليج العربى

(١) سعيد عبد الفتاح عاشور . الحركة الصليبية ( القاهرة ، ١٩٦٣م ) جـ ٢ ، ص ١١٩٨ ،

عبد المجيد عابدين . بين الحبشة والعرب ( القاهرة ، د . ت ) ص ١٦٩ .

(٢) للمزيد من التفاصيل عن هذه الحروب ، انظر : حسن أحمد محمود ، الإسلام والثقافة

العربية ... ، ص ٤٠٩ ، شوقى الجمل . ( تطور العلاقة بين الكنيستين المصرية

والأثيوبية وانعكاساتها على العلاقة السياسية بين الدولتين ) ( الندوة الدولية للقرن

الأفريقى ، معهد البحوث والدراسات الأفريقية ، ١٩٨٧م ، جـ ٢ ، ص ٦٦٧ - ٦٦٩ .



والبحر الأحمر وتحويل طريق التجارة العالمية ، والقضاء على القائد الإسلامى المشهور فى قرن أفريقيا " أحمد بن إبراهيم " بتحالفهم مع مملكة القديس يوحنا، ثم رجحت كفة الحروب بين المسلمين والمسيحيين بالتدخل الأوربى (١).

على أن سقوط مملكة أوفات ، لم يكن يعنى ضياع السلطة الإسلامية فى المنطقة ، فقد تحولت السلطة السياسية إلى " سلطنة هرر " المستقلة ، يحكمها أمراء مستقلون عن السلطة المسيحية التى نجحت فى الاستيلاء على معظم مملكة أوفات الإسلامية بمساعدة أوربية .

أما الأحوال العامة لمملكة أوفات الإسلامية ، فالثابت أنه دانت لها قبائل وممالك إسلامية بالطاعة والولاء ، فاستطاع آل ولشمع إدارة البلاد بمهارة فائقة ، وحكموا حكماً عادلاً ، وبسطوا الأمن والاستقرار ، وطبقوا الشرع الإسلامى ، وأسسوا نظاماً قضائياً مستمداً من الكتاب والسنة ، وأقاموا حضارة إسلامية شامخة ، وانتهج مؤسسوا مملكة أوفات ( الولشمعيون ) منهجاً وراثياً فى الحكم ، واتخذوا ألقاب سلاطين وملوك (٢) .

أما التنظيم الإدارى ، فقد قسم السلاطين مملكتهم إلى عدة أقسام إدارية، فقسموها إلى إمارات وأقاليم يحكمها أمراء أمصار يعينهم السلطان أو الملك ، ويوصيهم بالخير والصلاح ، وأن يحفظوا البلاد ، وأن لا يأتى من قبلهم مايؤذى المسلمين ، وأنهم ليسوا من الأسرة الحاكمة فقط ، وإنما من مختلف الأمم والشعوب التى تخضع لحكمهم (٣) .

(١) انظر : العمرى ، مسالك الأبصار ، ج٢ ، ورقة ١٨٢ ، ١٨٨ ، المقرئى ، الإمام ، ص ٥ - ١٢ ، أحمد شلبى . موسوعة التاريخ الإسلامى والحضارة الإسلامية ( القاهرة ، ١٩٦٨ م ) ج ٦ ، ص ٧٠٩ - ٧١٠ .

(٢) المقرئى ، الإمام ، ص ١٠ - ١٦ ، عرب فقية ، فتوح الحبشة ، ص ١٠٤ ، ٢٦٧ .

(٣) المصدر نفسه ، ص ٥٥ .

أما لقب الوزير فقد ظهر في عهد السلطان " صبر الدين الثانى " ولم يوضح مخصصاته الإدارية والسياسية ، ولكن الظاهر أنهم استخدموا لقب الوزير كلقب الأمير ، سواء أمير الجيش أو الأمصار . وقد ذكر عرب فقيه أن أحمد بن إبراهيم قائد الجيش الإسلامى فى أوقات عين عدداً من الوزراء يأترون بأمره كالوزير عدلى ، وعباس ، ومجاهد ، ونور بن إبراهيم ، ومناصبهم الإدارية والقيادية كالأمراء (١) .

ولما كانت الشورى فى الحكم الإسلامى ، تقوم مقام الرقابة الإدارية ، فإن مظاهرها تجلت فى مجالس حكم السلاطين والأمراء فى مملكة أوقات ، وكان السلطان يعقد مجلسه تحت شعائر وترتيبات مرعية ، ويجلس الملك على كرسي مطعم بالذهب ، ارتفاعه أربعة أذرع ، وأكابر الأمراء حوله على كراسى أخفض من كرسیه ، وبقية الأمراء وقوف ، ويحمل رجلان على رأسه السلاح ، ثم ينظر فى المظالم التى تعرض عليه (٢) .

وكانت الشورى من أكبر العوامل التى ساعدت أحمد بن إبراهيم فى انتصاراته العظيمة على الحبشة المسيحية ، وأعطى اهتماماً خاصاً باستشارة أمرائه وقواته (٣) ، وكان التشاور يجرى دائماً عند اختيار كل سلطان جديد ، وكان يشترك فى ذلك الأمراء والقضاة وأمراء الأمصار وقادة الجيش (٤) .

(١) المصدر نفسه بوللمزيد من التفاصيل العمرى: مسالك الأبصار، ج٢، ورقة ١٨٣-١٨٤؛

المقريزى ، الإمام ، ص ٧ ، القلقشندي ، صبح الأعشى ، ج ٥ ، ص ٣٣٤ - ٣٣٥ .

(٢) انظر: تفاصيل أكثر . حسن جوهر . الصومال (القاهرة ، ١٩٤٧م) ص ١٤-١٦ .

(٣) عرب فقيه ، فتوح الحبشة ، ص ٦٢ - ٧٣ ، ١٠٣ ، ١٧٥ - ١٧٦ .

(٤) للمزيد ، انظر : المقريزى ، الإمام ، ص ٤ - ٧ ، العمرى ، مسالك الأبصار ، ج ٢ ،

ورقة ١٨٤ ، القلقشندي ، صبح الأعشى ، ج ٥ ، ص ٣٣٤ ، عرب فقيه ، فتوح

الحبشة ، ص ٢٩ ، ٢٩٧ ، ٣٢٦ - ٣٢٧ .

وكان السلطان يقود الجيش بنفسه ، ويضرب عند خروجه للحرب بوق كبير مصنوع من خشب شجرة الحنبا ، وكانت الأبواق والطبول والطاسات والنقارات وسيلة إعلامية محلية ، استعملت لجمع أفراد الجيش وأمراء القبائل ، خصوصاً عندما تصل إلى العاصمة أو المعسكر أنباء انتصارات أحرزها الجيش الإسلامي في جبهة من جبهات القتال ، أو لخبر اليم كنعى السلطان (١) . وعلى الرغم من أن قيادة الجيش من وظائف السلطان ، فإنه لتعدد جبهات القتال كان لكل أمير ولاية سلطة قيادة جيشه ، وشن الغارات ، وإنفاذ الجيش إلى وجهته ، كما كان السلطان يعهد لبعض الأمراء بقيادة السريا ، وجرت العادة أن يأمروا قوادهم أن لا يقاتلوا الناس حتى يعرضوا عليهم الإسلام ، فإن أبوا ، فالجزية ، وإلا فالحرب (٢) .

وانقسم الجيش في المعارك الحربية إلى قلب وميمنة وميسرة ، كل منها مقسم ، إلى فرق لها أمراء وأعلام مختلفة الألوان والأشكال ، وتحكمها قيادة عليا في قلب الجيش ، وعندها علم المملكة ، حيث ين فيها السلطان أو القائد العام للجيش . وبما أن قبائل إسلامية دخلت الحروب مع الجيش النظامي ، فإن أمير الفرقة أو الميمنة أو الميسرة كلها ، قد يكون زعيم أقوى قبيلة في تشكيل الفرقة أو الميمنة ، وتوزع فرقة رماة السهام بين الفرق المختلفة ، وتنقسم الخيول إلى هجوم واحتياطي يحمى وراء ظهورهم .. وقد استخدم المسلمون الدفاعات والتحصينات ، وعرفوا حروب القلاع ، والاستخبارات العسكرية ، والاستعانة بالأدلاء في المواقع المجهولة ، وارسال قوات الاستطلاع إلى المواقع الأمامية ، وتنظيم حراسة معسكرات الجيش على شكل

(١) عرب فقية ، فتوح ، ص ٢٧٣ ، ٢٩٨ ، الشيخ زيراش ، كشف السدول ... ، ص ٣٦ - ٣٩ .

(٢) عرب فقية ، فتوح الحبشة ، ص ٤٠ - ٤١ ، الشيخ زيراش ، كشف السدول ، ص ٥٧ - ٥٩ .

الدوريات والورديات (١) ولمملكة أوفات راية خضراء مكتوب فى وسطها " لا إله إلا الله محمد رسول الله " وبدلها الإمام أحمد بأخرى بيضاء وأطرافها حمراء مكتوب عليها آيات قرآنية ، وأبيات من الشعر منسوبة إلى على بن أبى طالب ، وبعض الأوسمة (٢) .

وكان القضاء على مذهب الإمام أبى حنيفة ، وبعض الإمارات الأخرى تقوم بالإفتاء على مذهب الإمام الشافعى ، ووجد منصب الحسبة وهو الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر .

أما النظام المالى فمن الواضح أن موارد الدولة الإسلامية التى تمول بيت المال متعددة وأن مصدر وأسلوب تطبيقها من الكتاب والسنة ، فالزكاة والجزية والغنائم والفى نزلت بشأنها آيات قرآنية ، والخراج قرره الخليفة عمر بن الخطاب ، استنباطاً من القرآن ، كما قرر العشور بمبدأ المعاملة بالمثل بعد أن فرض على تجار المسلمين فى أراض أجنبية واستلزم الإسلام الاجتهاد فى تطبيقها بما لا يخالف الكتاب والسنة ، فجاء تطبيقها على اختلاف الظروف المكانية والزمانية على الوجه الأكمل (٣) .

(١) عرب فقيه ، فتوح الحبشة ، ص ٤٠ - ٤١ ، الشيخ زيراش ، كشف السدول ، ص ٥٧ - ٥٩ .

(٢) انظر : عرب فقيه ، فتوح الحبشة ، ص ٤١ - ٤٣ ، حسن أحمد محمود ، الإسلام والثقافة العربية ... ، ص ٤٦١ - ٤٦٣ ، الشيخ زيراش ، كشف السدول ... ، ص ٥٠ - ٥٢ .

(٣) العمرى ، مسالك الأبصار ، ج ٢ ، ورقة ١٨٣ - ١٨٤ ، عرب فقيه ، فتوح الحبشة ، ص ٨٨ - ٨٩ ، المقرئى ، الإمام ، ص ٦ - ٨ ، قطب إبراهيم محمد ، النظم المالية فى الإسلام ( القاهرة ، ١٩٨٢ م ) ص ٢٦ ، ٢٨ - ٢٩ .

وكانت الزكاة مورداً من موارد مالية مملكة أوفات ، ونظمت أداءها بموافقة الدولة ، وأرسلت العاملين لجمعها من المسلمين ، وتصريفها على مصارفها المحددة في قوله تعالى ﴿ إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها... ﴾ (١) وتشددوا في طلبها لأن عند أهلها محافظة للدين (٢) .

أما الجزية فكانت مقررة ، ويقال إن السلطان سعد الدين رفض جزية سنوية من ملك وثنى يدعى إيلي بوري ، باعتبار أن الجزية تؤخذ من أهل الذمة (٣) كما نتج عن حروب الجهاد التي خاضتها مملكة أوفات مغانم كثيرة من أموال وأسلحة وأسرى ، مما يشكل مورداً من موارد الدولة . وقسمة الغنائم - بعد إخراج الخمس منها - راجعة إلى تقدير السلطان وما يراه مناسباً للمحاربين في سبيل الله (٤) .

أما العملة ، فلم يكن لمملكة أوفات دار سك للنقود ، وكانوا يتعاملون بدنانير ودراهم مصر مما يدخل مع التجار إلى بلادهم ، كما تعاملت بالذهب الذي يجلب إليها من منطقتي دافوت وسخا في الحبشة ، وكانت الأوقية من الذهب تساوي حوالي ثمانين إلى مائة وعشرين درهماً على قدر جودة الذهب ونقاؤه ، وكانت المقايضة خير وسيلة للتبادل التجاري ، وكانت الموازين

---

(١) سورة التوبة : آية ( ٦٠ ) ، وللمزيد انظر : عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير تفسير القرآن العظيم ( بيروت ، ١٤١٢هـ / ١٩٩١م ) ج٢ ، ص ٣٧٨ - ٣٨٠ .

(٢) العمرى ، مسالك الأبصار ، ج٢ ورقة ١٨٣ ؛ عرب فقية ، فتوح الحبشة ، ص ٨٨ - ٨٩ .

(٣) قطب إبراهيم ، النظم المالية ، ص ٨٥ - ٨٧ ، عرب فقية ، فتوح الحبشة ، ص ١٠٩ ، ١٤٢ ، ١٤٤ - ١٥٥ ، ١٦٩ ، ١٨٩ ، ٢٧٣ ، المقرئ ، الإلمام ، ص ١٢ وما بعدها .

(٤) عرب فقية ، فتوح الحبشة ، ص ٢٧ ، قطب إبراهيم ، النظم المالية ، ص ٨٥ .

موجودة ، ثم ظهرت فى القرن الخامس عشر عملة جديدة عرفت باسم ورقة أوفات ، ثم ظهرت فى القرن السادس عشر دراهم فى أوفات عرفت باسم الأشرفية والملحقية، إلا أن تاريخ سكها لم يحدد . وكانت قيمة الصاع من الذرة - فى أيام الرخاء - خمسة مطلق - أما أيام الغلاء فهى اثنتا عشر اشرفية ، وصاع الملح خمس وعشرون اشرفية ، والبقرة حوالى ثلاثمائة اشرفية أو أكثر من ذلك (١) .

ونتج عن التركيبة الاجتماعية لمملكة أوفات ، أنه تعايش فيها جماعات مختلفة الأعراف من عرب وهنود وفرس وأفارقة ، وذلك منذ بزوغ فجر الإسلام ، وحركة نشر العقيدة الإسلامية ، ويعيش هذا الخليط السكانى فى المدن الساحلية فى منطقة القرن الأفريقى ، حيث ظهرت فى أوساطهم لهجة زيلعية من كلمات عربية وصومالية وعفرية وهندية ، وربما فارسية ، ومازالت الرقصات الشعبية ، والأغاني الزيلعية ذات الطابع الخاص ، إلى اليوم ، تشير إلى ذلك التمازج اللغوى والعرقى .

وكانت الأسرة الحاكمة عربية الأصل ، وبجانبها التجار والزراع والجنود من العرب المهاجرين ، والهنود من أكبر الطبقات التجارية ، ويشكل الأفارقة أغلبية مجتمع أوفات ، وحسب موقع المملكة فإنهم كانوا بصفة

(١) للمزيد ، انظر : العمرى ، مسالك الأبصار ، ج٢ ، ورقة ١٨٣ - ١٨٤ ، عرب فقية ، فتوح الحبشة ، ص ٢٦٣ ، محمد بن على الشوكانى ، البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع ( القاهرة ، ١٣٤٨ هـ ) ج٢ ، ص ١٤٢ - ١٤٣ ، نعيم زكى فهم ، طرق التجارة الدولية ومحطاتها بين الشرق والغرب ( أواخر العصور الوسطى ) ( القاهرة ، ١٩٧٣ م ) ص ٣٦٣ - ٣٦٤ .

أساسية من الصوماليين والعفرين والجالين (١) ولم يكن للفوارق اللونية أي أثر في المجتمع ، فامتزجت تلك العناصر امتزاجاً يكاد يكون تاماً (٢) .

وجملة القول ، أن مملكة أوفات عاشت في قرن أفريقياردهاً من الزمن ، وساهمت إسهاماً إيجابياً في نقل الحضارة والفكر الإسلامي إلى تلك المنطقة ، كما ساعدت على نشر التراث الإسلامي ، فضلاً على الدور الذي لعبته في تاريخ المنطقة سياسياً واجتماعياً واقتصادياً ، فاستمر دفع الحضارة الإسلامية في قرن أفريقيا في الازدهار والانتشار حتى بلغ مداه في أيامها ، وشجعت أوفات التعليم الإسلامي الذي هو جزء لا يتجزأ من الدين كما أن أهلها كانوا يحافظون على دينهم ، وعندهم المساجد والجوامع التي تقام فيها الجُمُع والجماعات ، وظهرت المدارس القرآنية بظهور الإسلام ، فنظام التعليم عندهم يشبه ما عرف في العالم الإسلامي قبل ظهور المدارس النظامية ، إذ بدأ من مرحلة الكتاتيب ، ثم مرحلة العلوم العقلية والنقلية ، واهتم السلاطين والفقهاء والعلماء بأن يحل الدين الإسلامي وثقافته محل الوثنية والمسيحية ، ونجحوا في ذلك نجاحاً عظيماً ، وواكبت اللغة العربية وثقافتها حركة المد الإسلامي وانتشاره في المنطقة وأصبحت لغة التسجيل في دواوين الحكومة والمكاتبات الرسمية وفي القضاء حتى تركت بصماتها القوية في اللغات المحلية ، كما كان السكان يجيدون اللغة العربية ، وهذا ما يقوله العمري :

(١) حسن إبراهيم حسن ، انتشار الإسلام في القارة الأفريقية ( القاهرة ، ١٩٦٣ م )

ص ٣١ - ٣٣ ، إبراهيم طرخان ، الممالك الإسلامية في الحبشة ، ص ٤٤

I. M. Lewis, The Modern History of Somaliland from Nation to State ( London, 1965 ) pp . 21- 22 .

(٢) عبد المجيد عابدين ، بين الحبشة والعرب ، ص ١٥٤ - حسن جوهر ، الحبشة ،

ص ١٤٠ ، حسن أحمد محمود ، الإسلام والثقافة العربية ... ، ص ٤٨١ .

" وكلام أهلها ( يقصد أوفات ) باللغة الحبشية ، ويتكلمون أيضاً بالعربية " (١)، وشيد أهل أوفات مدارس القرآن الكريم ( الدوكس Dugs ) فى كل مكان يوجد فيه مجتمع إسلامى ، واهتم المجتمع بها ، وأرسلوا إليها أولادهم وكانت الأدوات المستخدمة فى الدوكس : اللوح ، والقلم ، والدواة (٢) .

وازدهرت الحركة العلمية فى مدن مملكة أوفات ، وأصبحت زيلع وهرر وأوفات وبربرة مدناً جامعية مشهورة فى مملكة أوفات ، ودول الطراز الإسلامى ، وتثقل الطلاب بين هذه المدن التى اشتهرت باتقان علمائها علوماً معينة ، حيث اشتهرت هرر بدراسة علوم اللغة العربية والتفسير والحديث ، واشتهرت زيلع بفقة الشافعية ، وأعطى المجتمع الإسلامى العلم والعلماء منزلة عالية ، وتمنى كل طالب أن يكون عالماً من علماء الدين ، واندفعوا إلى مجالس الفقهاء والعلماء للنهل من مواردهم العلمية ، وبذل العلماء مجهودات هائلة لأداء رسالتهم العلمية ، وساعد على ذلك قرب المنطقة من موطن الحضارة الإسلامية فى مكة والمدينة والقاهرة ودمشق (٣) ، ونزحت

(١) العمرى، مسالك الأبصار، ج٢، ورقة ١٨٣-١٨٤، المقرئى ، الإمام ، ص٧، جامع عمر عيسى ، تاريخ الصومال فى العصور الوسطى والحديثة ( القاهرة ١٩٦٥م ) ص١٦ ، ٣٥ .

(٢) كلمة دوكسى ( Dugsi ) الصومالية هى الخلاوى السودانية أو الكتابات العربية ، أما الكتاب ( Kutaab ) فهو مفرد وجمع وهو طالب المدرسة القرآنية ، وتطابق الكلمة العربية فى المقصود والكتاب الصبيان . للمزيد انظر أحمد أمين ، ضحى الإسلام ( القاهرة ، ١٩٧٩م ) ج٢ ، ص٥٠ ، عبد القادر شيخ عبد الله . تاريخ التعليم فى الصومال ( مقديشو ، ١٩٧٨م ) ص١٣ ، جامع عمر عيسى ، تاريخ الصومال ، ص٣٨ .

(٣) للمزيد من التفاصيل انظر : عبد القادر شيخ عبد الله ، تاريخ التعليم فى الصومال ، ص٤٠ .



إليها جميع الفرق والمذاهب المعروفة - آنذاك - فى العالم الإسلامى ، كما رحل كثير من أبنائها إلى تلك البلاد ، فتنوعت الحياة الثقافية فيها ، وأصبح العلماء طبقة ذات وجود مؤثر فى البلاط السلطانى وفى الحياة الثقافية والاجتماعية ، وقادوا حركات الجهاد كالشيخ محمد أبو عبد الله ، والشيخ حق الدين الثانى ، وأحمد بن إبراهيم ، كما تولى بعضهم مهمة السفارات كالشيخ عبد الله الزيلعى (١) .

وأياماً كان الأمر ، فقد ازدهرت الحركة العلمية ، وتعدد العلماء والفقهاء ، الذين يقومون بأمور الدولة ، وبتدريس الدين واللغة العربية التى تدون بها الدواوين على الطريقة الإسلامية ، كما أن للمملكة قضاة ومحاكم شرعية ، وأئمة للمساجد ، وكتبة ، مما يستدعى وجود طائفة متمكنة من الثقافة الإسلامية وساعد على ذلك استمرار هجرة علماء المسلمين إليها من الأقطار المجاورة ، وكانت أشهرها هجرة الأربعة والأربعين شيخاً حضرمياً فى أيام السلطان جمال الدين الثانى ، الذين نزلوا فى مدينة بربرة عام ٨٣٤هـ / ١٤٣٠ (٢) .

وقد ارتبطت مملكة أوفات الإسلامية بعلاقات واسعة مع عدد من الدول الإسلامية فى المشرق العربى لنيل مساعداتهم المعنوية والمادية لمواصلة

---

(١) العمرى ، مسالك الأبصار ، ج٢ ، ورقة ١٨٣-١٨٤ ؛ المقرئى ، الإمام ، ص ٦-٧ ، حسن أحمد محمود ، الإسلام والثقافة العربية ... ، ص ٤٨٤ - ٤٨٦ .

(٢) انظر ، عرب فقية ، فتوح الحبشة ، ص ١٣ - ١٤ ، المقرئى ، الإمام ، ص ٧ ، العمرى ، مسالك الأبصار ، ج٢ ، ورقة ١٨٥ - ١٨٦ ، أرنولد ، الدعوة إلى الإسلام ، ص ٣٨٧ ؛ حمدى السيد ، الصومال قديماً وحديثاً ( مقدشو ، ١٩٦٥ م ) ج ١ ، ص ٣٥٢ - ٣٥٣ .

الجهاد ونشر العقيدة الإسلامية في المنطقة ، ومن أهم هذه الدول مصر واليمن ، وقد أضفى البحر الأحمر على مملكة أوفات أهمية كشریان تجارى بين الشرق والغرب ، واحتلت مدن زيلع وتاجورة وعيذاب وسواكن والسويس وغيرها مكانة مرموقة في عالم تجارة العصر الوسيط وبعض العصور الحديثة ، وكان أهل أوفات حملة التجارة الشرقية مع إخوانهم الأريتريين والسودانيين واليمنيين ، وكونوا خطأ تجارياً ضخماً ، بنقل المتاجر بين موانئ البحر الأحمر الجنوبية والمحيط الهندي، وبين موانئ مصر الشمالية التي ينقل منها التجار الإيطاليون إلى أوروبا. أما المصريون فقد أعطوا اهتماماً كبيراً لتجارة البحر الأحمر وخطاً يببرس خطوات واسعة نحو تأمين دولته المترامية الأطراف ، والملاحة في البحر الأحمر ، إذ استتكر تعرض صاحبي سواكن ودهلك للتجارة في عام ٦٦٢هـ / ١٢٦٤م وبعد عامين من ذلك سبر حملة استولت على سواكن ، وأقرت الأمور فيها ، مما أدى إلى تقرب حكام دهلج إلى المماليك (١) .

وكانت اليمن من أهم الدول الإسلامية في شرق البحر الأحمر التي ارتبطت بها مملكة أوفات بعلاقات سياسية اقتصادية وثقافية ، لأن معظم المستوطنين العرب فيها كانوا من أصل يمني وكانت مملكة أوفات ملجأ الهاربين من دوامة الصراع في اليمن .

وكان لأوفات - بجانب العلاقات السابقة - صلات ثقافية مع المشرق العربي ، وفي مراكزه الثقافية كالأزهر والجامع الأموي بدمشق والحرمين

(١) للمزيد انظر : محمد عبد العال أحمد . بنو رسول وبنو طاهر وعلاقات اليمن الخارجية في عهدها ، ( الإسكندرية ، ١٩٨٠م ) ص ٣٧٧ .

الشريطين ، وتتقل العلماء والطلاب على طول الإمبراطورية الإسلامية وعرضها بحرية وأمان ، وظهر فى هذا الجو العلمى الرائع علماء زيلعيون صاروا جهابذة العلم ، وحازوا على شهرة فى محيط الدولة الإسلامية ، حيث استقروا بصفة مستديمة فى مصر والشام واليمن والحجاز والعراق ، فاهتم بهم كتاب تراجم العلماء المسلمين والبارزين فى مجال العلوم الإسلامية ، ومنهم على سبيل المثال لا الحصر ، الشيخ فخر الدين الزيلعى ، وجمال الدين أبو محمد الزيلعى ، وغيرهما كثير<sup>(١)</sup> .

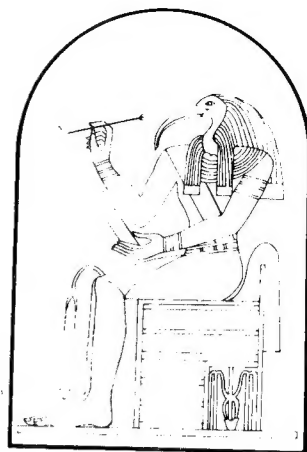
---

(١) جلال الدين السيوطى ، حسن المحاضرة فى أخبار مصر والقاهرة ( القاهرة د . ت ) ج١ ، ص ١٥١ - ١٥٢ ، الشوكانى ، البدر الطالع ، ج١ ، ص ٤٠٢ - ٤٠٣ ، عبد الرحمن زكى ، أفريقيا الإسلامية ( القاهرة ، ١٩٨٥ م ) ج٢ ، ص ٣٦ - ٣٧ .





Cairo University  
Faculty of Arts



# THE EGYPTIAN HISTORIAN

STUDIES & RESEARCHES IN  
HISTORY & CIVILIZATION

A BIANNUAL PUBLICATION OF  
THE DEPARTMENT OF HISTORY

Editor - in - Chief: Prof. S. A. EL - NASSERY

## ADVISORY BOARD

Prof. HASSANEIN RABIE	Prof. ABDULLATIF A. ALI
Prof. RAOUF ABBAS	Prof. SAIED ASHOUR
Prof. HAMID ZAYYAN	Prof. HASSAN MAHMOUD
Prof. ATTIA EL - KOUSY	Prof. GAMAL EL - MESSADY
Prof. LILA ESMAEEL	Prof. M. AMIN SALEH
	Prof. ESSAM EL - FIKY

---

Volume 16 ( JANUARY 1996 )